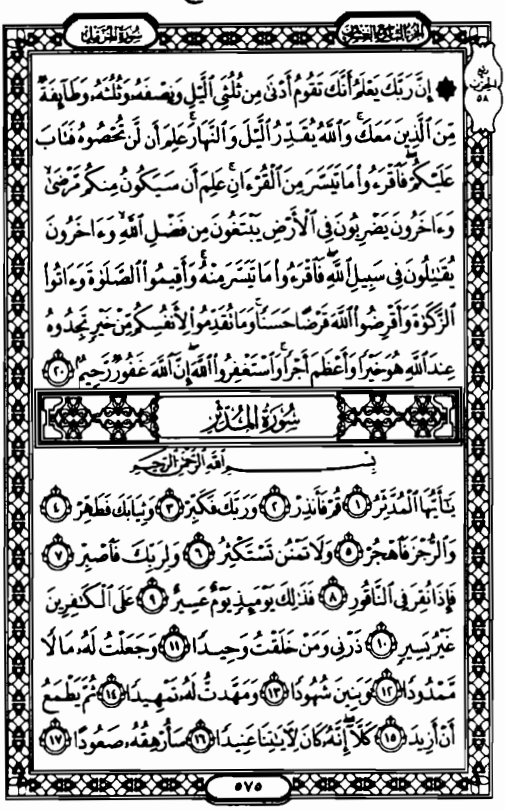
إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٥٧٥

معانى الكلمات :

تحصوه : تطيقوا ضبط وقت قيامه .

يضربون : يسافرون للتجارة وغيرها .

المدثر : المتغشى بثيابه (النبى ﷺ) .

وربك فكبر : عظم ربك .

والرجز فاهجر : اهجر المآثم الموجبة للعذاب .

ولا تمنن تستكثر : لا تعط وأنت تطلب الكثير .

نقر فى الناقور : نفخ فى الصور للبعث والنشور .

سأرهقه صعودا : سأعذبه عذابا شديدا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن الدين يسر .

٢ ـ أن نعلم ألا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب فى حياة المسلم .

٣ ـ أن نتعرف على موقف الشقى الوليد بن المغيرة من نعمة الله عليه .

المحتوى التربوى :

تجىء لمسة التخفيف الندية تمسح على التعب والنصب والمشقة ، ودعوة التيسير الإلهى على النبى والمؤمنين ، وقد علم الله منه ومنهم خلوصهم له ، وقد انتفخت أقدامهم من القيام الطويل للصلاة بقدر من القرآن كبير ، وما كان الله يريد لنبيه أن يشقى بهذا القرآن والقيام ، إنما كان يريد أن يعده للأمر العظيم الذى سيواجهه طوال ما بقى له من الحياة ، هو والمجموعة القليلة من المؤمنين الذين قاموا معه ، وفى الحديث مودة وتطمين ؛ إنه رآك ، إن قيامك وصلاتك أنت وطائفة من الذين معك قبلت فى ميزان الله ، إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع ، وتركت دفء الفراش فى الليلة القارسة ، ولم تسمع نداء المضاجع المغرى وسمعت نداء الله ، إن ربك يعطف عليك ويريد أن يخفف عنك وعن أصحابك ، والله هو المقدر لليل

والنهار فيطيل من هذا ويقصر من ذاك ، فيطول الليل ويقصر ، وأنت ومن معك ماضون تقومون أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ، وهو يعلم ضعفكم عن الموالاة .

وهو لا يريد أن يعنتكم ولا أن يشق عليكم ، إنما يريد لكم الزاد وقد تزودتم فخففوا على أنفسكم ، وخذوا الأمر هينا ، واقرؤوا ما تيسر فى القرآن فى قيام الليل بلا مشقة ولا عنت ، وهناك أمور تنتظركم تستنفد الجهد والطاقة ، ويشق معها القيام الطويل ، وعلم الله أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغرور فى سبيل الله ، والله لا يريد أن تدعوا أمور حياتكم وتنقطعوا لعبادة الشعائر انقطاع الرهبان ، وقد علم الله أن سيأذن لكم فى الانتصار ممن ظلمكم بالقتال ، فخففوا إذن على أنفسكم ، واقرؤوا ما تيسر من القرآن بلا عسر ولا مشقة ولا إجهاد ، واستقيموا على فرائض الدين من الصلاة والزكاة ، وتصدقوا بعد ذلك قرضا لله يبقى لكم خيره ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا ، فالإنسان يقصر ويخطئ فأكثروا من ذكر الله واستغفروه فى أموركم كلها ، فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

سورة المدثر

تبدأ السورة بالنداء العلوى الجليل للأمر العظيم الثقيل ؛ نذارة هذه البشرية وإيقاظها ، وتخليصها من الشر فى الدنيا ، ومن النار فى الآخرة ، وتوجيهها إلى طريق الخلاص قبل فوات الأوان وهو واجب ثقيل شاق حين يناط بفرد من البشر مهما يكن نبيًّا رسولا ، والإنذار هو أظهر ما فى الرسالة ، فهو تنبيه للخطر القريب الذى يترصد للغافلين السادرين فى الضلال وهم لا يشعرون ، وفيه تتجلى رحمة الله بالعباد ، وهم لا ينقصون فى ملكه شيئا حين يضلون ، ولا يزيدون فى ملكه شيئا حين تهتدون ، غير أن رحمته اقتضت أن يمنحهم كل هذه العناية ليخلصوا من العذاب الأليم فى الآخرة ، ومن الشر الموبق فى الدنيا ، وأن يدعوهم رسله ليغفر لهم ويدخلهم جنته من فضله .

ثم يوجه الله رسوله فى خاصة نفسه بعد إذ كلفه نذاره غيره ، يوجهه إلى تكبير ربه ، فهو وحده الكبير الذى يستحق التكبير ، وكل أحد ، وكل شىء ، وكل قيمة ، وكل حقيقة صغير، والله وحده هو الكبير ، وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه نذارة البشرية ، ومتاعبها وأهوالها وهو يستصغر كل كيد ، وكل قوة ، وكل عقبة ، وهو يستشعر أن ربه هو الكبير ، ويوجهه إلى التطهر ، وطهارة الثياب كناية فى الاستعمال العربى عن طهارة القلب والخلق والعمل ، طهارة الذات التى تحتويها الثياب وكل ما يلم بها أو يمسها ، والطهارة هى الحالة المناسبة للتلقى من الملأ الأعلى ، ويوجهه إلى هجران الشرك وموجبات العذاب ، والرجز هو الأوثان ، ويوجهه إلى إنكار ذاته

وعدم المن بما يقدمه من الجهد ، أو استكثاره واستعظامه ، فهذه الدعوة لا تستقيم فى نفس تحس بما تبذل فيها ، فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه ، ويوجهه أخيراً إلى الصبر ، الصبر لربه وهو وصية تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة أو تثبيت ، والصبر هو الزاد الأصيل فى هذه المعركة الشاقة ، معركة الدعوة إلى الله .

ويتجه السياق إلى بيان ما ينذر به الآخرين فى لمسة توقظ الحس لليوم العسير ، الذى ينذر بمقدمة النذير ، والنقر فى الناقور هو ما يعبر عنه فى مواضع أخرى بالنفخ فى الصور ، ويصف اليوم بأنه عسير على الكافرين ، ويؤكد هذا العسر بنفى كل ظل لليسر فيه ، وهو على الكافرين غير سهل ، وما أجدر الكافرين أن يستمعوا للنذير قبل أن ينقر فى الناقور .

وينتقل السياق من هذا التهديد العام إلى مواجهة فرد بذاته من المكذبين ، يبدو أنه كان له دور رئيسى خاص فى التكذيب والتبييت للدعوة ،فيوجه إليه تهديداً ساحقا ماحقا ، ويرسم له صورة منكرة تثير الهزء والسخرية ، والخطاب للرسول ﷺ ومعناه خل بينى وبين هذا الذى خلقته وحيداً مجرداً من كل شىء آخر مما يعتز به من مال كثير ممدود ، وبنين حاضرين شهود ونعم يتبطر بها ويحتال ويطلب المزيد ، خل بينى وبينه ولا تشغل بالك بمكره وكيده فأنا سأتولى حربه .

ويطيل النص فى وصف حال هذا المخلوق ، وما آتاه الله من نعمه وآلائه قبل أن يذكر إعراضه وعناده، فهو قد خلقه وحيداً مجرداً من كل شىء حتى من ثيابه، ثم جعل له مالا ممدوداً، ورزقه بنين من حوله حاضرين شهوداً ، فهو منهم فى أنس وعزوة ، ومهد له الحياة تمهيداً ويسرها له ، وهو لا يقنع بما أوتى ولا يشكر ويكتفى ، وهنا يردعه ردعا عنيفا عن هذا الطمع الذى لم يقدم حسنة،ولا طاعة،ولا شكراً لله يرجو بسببه المزيد ، فقد عاند دلائل الحق وموجبات الإيمان ، ووقف فى وجه الدعوة ، وحارب رسولها ، وصد عنها نفسه وغيره ، وأطلق حواليها الأضاليل ، ويعقب على الروع بالوعيد الذى يبدل اليسر عسرا والتمهيد مشقة ، والذى ينحرف عن طريق الإيمان السهل الميسر الودود ، يقطع الحياة فى قلق وشدة وكربة وضيق ، كأنما يصعد فى السماء ، أو يصعد فى وعر صلد لا رىّ فيه ولا زاد ، ولا راحة ولا أمل فى نهاية الطريق .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الرياضة الروحية والتربية الأخلاقية ضرورة لكل مسلم ، ويجب على كل مسلم تطبيق الإسلام على نفسه حتى يكون عونا له على توصيل دعوته إلى قلوب الناس .

٢ ـ تبليغ الدعوة الإسلامية يحتاج من الدعاة إلى طهارة القلب ، والنفس ، والبدن من كل شىء قبيح .

٣ ـ الإسلام دين النظافة ؛ سواء نظافة الظاهر ، أو نظافة الباطن .

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
٥٧٦

معانى الكلمات :

وقدر : رتب كلاما فى نفسه .

فقتل : لعن وعذب .

عبس : قطب وجهه .

ويسر : اشتد فى العبوس .

لواحة : مسودة للجلود محرقة لها .

الكبر : الدواهى العظيمة .

سلككم : أدخلكم .

نخوض : نشرع فى الباطل لا نبالى به .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم كيف كان إعراض الوليد بن المغيرة وجزاء إعراضه هذا .

٢ ـ أن نعلم حقيقة الآخرة ، وحقيقة سقر ، وحقيقة جنود ربك وأنها غيب يجب التسليم به .

٣ ـ أن نستشعر أن كل نفس مرهونة بأعمالها ، مأخوذة بما تكسبه باختيارها .

المحتوى التربوى :

يرسم السياق صورة مبدعة مثيرة للسخرية والرجل يكد ذهنه ، ويعصر أعصابه ، ويقبض جبينه ، وتكلح ملامحه وقسماته كل ذلك ليجد عيبا بعيب به هذا القرآن ، وليجد قولا يقوله فيه ، فتأتى لقطة وهو يفكر ويدبر ومعها دعوة هى قضاء ، واستنكار كله استهزاء ، ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار ، ولقطة وهو ينظر هكذا وهكذا فى جد مصطنع متكلف يوحى بالسخرية منه والاستهزاء ، ولقطة وهو يقطب حاجبيه عابسا ، ويقبض ملامح وجهه باسراً ، ليستجمع فكرة فى هيئة مضحكة ، وبعد هذا المخاض كله ؟ وهذا الحَزق كله ؟ لا يفتح عليه بشىء ؛ إنما يدبر عن النور ويستكبر عن الحق ، فيقول : هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم فليس بكلام الله .

فإذا انتهى عرض هذه اللمحات الحية الشاخصة لهذا المخلوق المضحك ، عقب عليها بالوعيد المفزع ، وزاد هذا الوعيد تهويلا بتجهيل سقر ، فهى شىء أعظم وأهول من الإدراك ، ثم عقب على التجهيل بشىء من صفتها أشد هولا ، فهى تكنس كنسا وتبلع بلعا وتمحو محوا ، فلا يقف لها شىء ولا يبقى وراءها شىء ، ولا يفضل منها شىء ، ثم هى تتعرض للبشر وتلوح فهى تدل على نفسها ، وكأنما تقصد إثارة الفزع فى النفوس بمنظرها المخيف ، ويقوم عليها حراس عدتهم تسعة عشر ، ولا ندرى أهم أفراد من الملائكة الغلاظ الأشداء أم صفوف أم أنواع من الملائكة وصنوف ، إنما هو خبر من الله سندرى شأنه فيما يجىء .

وتكشف الآيات عن حكمة الله فى الكشف عن هذا الجانب من الغيب ، وذكر هذا العدد ، وترد علم الغيب إلى الله ، وتقرر ما وراء ذكر سقر وحراسها من غاية ينتهى الموقف إليها ، وتبدأ الآية بتقرير حقيقة أولئك التسعة عشر الذين تمارى فيهم المشركون فهم من ذلك الخلق المغيب الذى لا يعلم طبيعته وقوته إلا الله ، وقد قال لنا عنهم : إنهم يطيعون ما يأمرهم به الله ، وأن بهم القدرة على فعل ما يأمرهم ، وإذا كان قد كلفهم القيام على سقر فهم مزودون إذن من قبله سبحانه بالقوة المطلوبة لهذه المهمة كما يعلمها الله ، فلا مجال لقهرهم ، وهذا الأمر الغيبى كله من أمر الله ، ولماذا كانوا تسعة عشر أيا كان مدلول هذا العدد فهو أمر يعلمه الله الذى يخلق كل شىء بقدر ، والله يريد ويفعل ما يريد ، وهذا فصل الخطاب فى مثل هذه الأمور .

وهؤلاء سيجدون فى عدد حراس سقر ما يدعو بعضهم إلى اليقين ، ويدعوا البعض إلى ازدياد الإيمان ، فأما الذين أوتوا الكتاب فلابد أن لديهم شيئا عن هذه الحقيقة ، فإذا سمعوها من القرآن استيقنوا أنه مصدق لما بين يديهم عنه، وأما الذين آمنوا فكل قول من ربهم يزيدهم إيمانا؛ لأن قلوبهم مفتوحة موصولة تتلقى الحقائق تلقيا مباشرا ، وكل حقيقة ترد إليها من عند الله تزيدهم أنسا بالله ، وبينما أهل الكتاب يستيقنون والذين آمنوا يزيدون إيمانا ، إذا بالذين كفروا وضعاف القلوب المنافقون فى حيرة يتساءلون ما الحكمة فى ذكر هذا هنا ؟ والله يقول : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان فى قلوب أقوام ، ويتزلزل عند آخرين ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

وجنود الله غيب ، حقيقة ووظيفتها وقدرتها وما يعلم الغيب إلا الله ، وما النار التى وصفت وهى من جنود ربك إلا للتنبيه والتحذير للبشر ، ثم يكون التعقيب بربط حقيقة الآخرة وحقيقة سقر ، وحقيقة جنود ربك بظواهر الوجود المشهودة فى هذا العالم ، والتى يمر عليها البشر غافلين ، ومشاهد القمر والليل حين يدبر ، والصبح حين يسفر مشاهد موحية بذاتها ، تقول للقلب البشرى أشياء كثيرة ، وتهمس فى أعماقه بأسرار كثيرة ، وقل أن يستيقظ قلب لمشهد القمر حين يطلع ، وحين يسرى ، وحين يغيب ثم لا يعى عن القمر شيئا يهمس له به من أسرار هذا الوجود ، وقل أن يستيقظ قلب لمشهد الليل عند إدباره ثم لا ينطبع فيه أثر من هذا المشهد ، وقل ان يستيقظ قلب لمشهد الصبح عند إصفاره وظهوره ، ثم لا تنبض فيه نابضة من إشراق وتفتح

يجعله أشد ما يكون صلاحية لاستقبال النور الذى يشرق فى الضمائر مع النور الذى يشرق فى النواظر .

يقسم الله بهذه الحقائق الكونية الكبيرة لتنبيه الغافلين لأقدارها العظيمة ودلالاتها المثيرة ، يقسم على أن سقر أو الجنود التى عليها ، أو الآخرة وما فيها إحدى الأمور الكبيرة العجيبة المنذرة للبشر بما وراءهم من خطر ، وفى ظل هذه الإيقاعات المثيرة الخطيرة يعلن تبعة كل نفس لذاتها وعلى ذاتها ، ويدع للنفوس أن تختار طريقها ومصيرها، ويعلن لها أنها مأخوذة بما تكسبه باختيارها ، مرهونة بأعمالها وأوزارها ، فكل فرد يحمل همّ نفسه وتبعتها ، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها يتقدم بها أو يتأخر ، ويكرمها أو يهينها فهى رهينة بما تكسب ، مقيدة بما تفعل ، وقد بين الله للنفوس طريقة لتسلك إليه على بصيرة ، وهو إعلان فى مواجهة المشاهد الكونية الموحية ، ومشاهد سقر التى لا تبقى ولا تذر ، له وقعه وله قيمته .

وعلى مشهد النفوس الرهينة بما كسبت ، المقيدة بما فعلت ، يعلن إطلاق أصحاب اليمين من العقال،وإرسالهم من القيد،وتخويلهم حق السؤال للمجرمين عما انتهى بهم إلى هذا المصير، وانطلاق أصحاب اليمين وانفلاتهم من الرهن والقيد موكول إلى فضل الله الذى يبارك حسناتهم ويضاعفها ، وإعلان ذلك فى هذا الموقف وعرضه يلمس القلوب لمسة مؤثرة ، يلمس قلوب المجرمين المكذبين وهم يرون أنفسهم فى هذا الموقف المهين الذى يعترفون فيه فيطيلون الاعتراف.

بينما المؤمنون الذين كانوا لا يحفلونهم فى الدنيا ولا يبالونهم فى موقف الكرامة والاستعلاء ، يسألونهم سؤال صاحب الشأن المعوض فى الموقف ما الذى أدخلكم فى سقر ، ويأتى الاعتراف بعدم إقامتهم الصلاة إشارة إلى أهمية الصلاة فى كيان العقيدة ، ولم يكن منهم إحسان للمسكين والفقير ، وكانوا فى حالة استهتار بأمر العقيدة ، وحقيقة الإيمان وأخذها مأخذ الهزل واللعب، والخوض بلا مبالاة ، وأنهم ظلوا يكذبون بيوم الدين حتى أتاهم الموت يقطع كل شك ، ولا يترك مجالا لندم ولا توبة ولا عمل صالح .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الكبر والحسد من الصفات الذميمة التى تعرض بصاحبها عن الحق وعلينا التخلص منها.

٢ ـ من أهم الأسباب التى تؤدى إلى دخول النار : ترك الصلاة وعدم المحافظة عليها ، والبخل والتحدث بالباطل وعلينا مقاومتها .

٣ ـ هلاك الإنسان وخسارته فى نسيانه الآخرة .

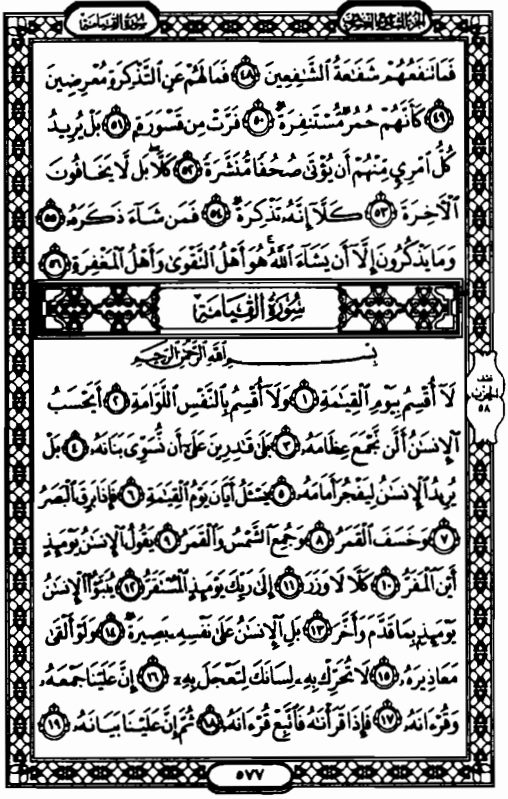
فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

٥٧٧

معانى الكلمات :

حمرة مستنفرة: حمر وحشية، شديدة النفار .

قسورة : أسد ، أو الرماة القُنُّص .

بنانه : أطراف أصابعه .

ليفجر أمامه : ليدوم على فجوره مده عمره.

برق البصر : دهش وتحير فزعا .

خسف القمر : ذهب ضوؤه .

بصيرة : حجة بينة أو عين بصيرة .

ألقى معاذيره : جاء بكل عذر .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن الله وحده عالم الغيب، فلا أحد يعلم جنوده، وأعداد ملائكته وقوتهم إلا هو.

٢ ـ أن نتعرف على طرف من علامات القيامة .

٣ ـ أن نعلم أن الإنسان مسؤول عما وقع منه ، ولن تقبل الأعذار يوم الحساب .

المحتوى التربوى :

يعقب السياق على الموقف السيئ المهين بقطع كل أمل فى تعديل هذا المصير ، فقد قضى الأمر وحق القول ، وتقرر المصير الذى يليق بالمجرمين المعترفين ، وليس هناك من يشفع للمجرمين أصلا ، وحتى على فرض مالا وجود له فما تنفعهم شفاعة الشافعين ، ويعود بهم السياق إلى ما كانوا عليه فى الدنيا ويرسم لهم صورة مضحكة تثير السخرية والعجب من أمرهم الغريب ، فمشهد حمر الوحش وهى مستنفرة تفر فى كل اتجاه ، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه ، وهو مشهد تعرفه العرب ، مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون ، حين يخافون كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذى يتحولون من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون مهددون ، بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم .

تلك هيئتهم الخارجية ، ثم لا يدعهم حتى يرسم نفوسهم من الداخل ، فالحسد للنبى ﷺ أن يختاره الله ويوحى إليه ، والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة ، وأن يوفى صحفا تنشر على الناس وتعلن ، وعدم خوفهم من الآخرة هو الذى ينأى بهم عن التذكرة ، وينفرهم من الدعوة هذه النفرة ، ولو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب ، ثم يردعهم مرة أخرى وهو يلقى إليهم بالكلمة الأخيرة ، ويدعهم لما يختارون لأنفسهم من طريق ومصير ، وهذا القرآن الذى يعرضون عن سماعه ، وينفرون كالحمر ، وهم يضمرون فى أنفسهم الجسد لمحمد ﷺ والاستهتار بالآخرة ، إنه تذكرة تنبه وتذكر ، فمن شاء فليذكر ، ومن لم يشأ فهو وشأنه .

وبعد أن يبيت مشيئتهم فى اختيار الطريق يعقب بطلاقة المشيئة الإلهية ، فكل ما يقع فى هذا الوجود ، مشدود إلى المشيئة الكبرى يمضى فى اتجاهها وفى داخل مجالها ، والذكر توفيق من الله ييسره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنه يستحق التوفيق ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فإذا علم من العبد صدق النية وجهه إلى الطاعات ،و العبد لا يعرف ماذا يشاء الله به ، ولكنه يعرف ماذا يريد الله منه ، فهذا مما بينه له ، فإذا صدقت نيته فى النهوض بما كلف أعانه الله ووجهه وفق مشيئته الطليقة ، وهم لا يصادمون بمشيئتهم مشيئة الله ، ولا يتحركون فى اتجاه ؛ إلا بإرادة من الله ، تقدرهم على الحركة والاتجاه ، والله هو أهل أن يخاف منه ، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب .

سورة القيامة

تبدأ السورة بقسمين لا تجيب عليهما ؛ لأن الجواب مفهوم من سياق السورة ، وهذا التلويح بالقسم مع العدول عنه أوقع فى الحس من القسم المباشر ، وحقيقة القيامة سيرد عنها الكثير فى مواضعه فى السورة ، وأما النفس اللوامة فهى نفس المؤمن ، فعن الحسن البصرى : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ماذا أردت بكلمتى؟ ماذا أردت بأكلتى؟ ماذا أردت بحديث نفسى ؟ وإن الفاجر يمضى قدما ما يعاقب نفسه .

وقد كانت المشكلة الشعورية عند المشركين هى صعوبة تصورهم لجمع العظام البالية الذاهبة فى التراب لإعادة بعث الإنسان حيا ، والقرآن يرد على هذا الحسبان بعدم جمع العظام مؤكداً وقوعه والنص يؤكد عملية جمع العظام بما هو أرقى من مجرد جمعها وهو تسوية البنان وتركيبه فى موضعه كما كان ، وهى كناية عن إعادة التكوين الإنسانى بأدق ما فيه ، ويكشف عن العلة النفسية فى هذا الحسبان ، وتوقع عدم جمع العظام ، فهذا الإنسان يريد أن يفجر ويمضى قدما فى الفجور ، ولا يريد أن يصده شىء عن فجوره ، ولا أن يكون هناك حساب عليه وعقاب ، ومن ثم فهو يستبعد وقوع البعث ، ويستبعد مجىء يوم القيامة .